

يا زهراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الثَّائِرُ الْحُسَيْنِيُّ الْوَفِيُّ... الْمُخْتَارُ الثَّقَفِيُّ

الْحَلَقَةُ الثَّانِيَّةُ ٢٠١٥/٨/١٦ م

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ جَمِيعًا..

إِذَا كَانَ لَنَا قِصَّةٌ فِي الْحَيَاةِ فَصَّتْنَا الْحُسَيْنِ.. لِسَبَبٍ بَسِيطٍ وَوَاضِحٍ جِدًّا عَلَى الْأَقْلِّ عِنْدَنَا.. الْحُسَيْنُ الْحَقِيقَةُ
الْوَحِيدَةُ فِي حَيَاتِنَا وَالْبَاقِي كُلُّهُ سَرَابٌ.. حَاءِ سَيْنِ يَاءِ نُونٍ مَثْنُ الْمُتُونِ.. وَكُلُّنَا نَحْنُ وَمَا حَوْلَنَا.. وَمَا عِنْدَنَا
وَعِنْدَ غَيْرِنَا.. مِنْ حَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ.. فِي حَوَاشِي الْحَوَاشِي..

.. يَا حُسَيْنُ ..

مرَّ الحديثُ في الحلقةِ الماضيةِ في أجواءٍ مَنَاهِجِ الْفِكْرِ الْبَشْرِيِّ وَتَحَدَّثْتُ عَنْ نَمَازِجٍ مِنْ مَنَاهِجِ الْفِكْرِ الْبَشْرِيِّ
عَبْرَ التَّأْرِيخِ بِشَكْلِ مُوجِزٍ، هُنَاكَ مِنَ الْإِخْوَةِ وَالْأَخْوَاتِ بِمَنْ يَطْلُبُونَ تَفْصِيلًا أَكْثَرَ فِي هَذَا الْمَطْلَبِ، الْحَقِيقَةُ
أَنْنِي لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَفْصَلَ الْكَلَامَ فَإِنَّ الْبَرْنَامَجَ سَيَبْتَعِدُ عَنْ مَوْضُوعِهِ وَسَيَتَحَوَّلُ إِلَى تَأْرِيخٍ لِلْفَلَسَفَةِ وَالْمَفْكَرِينَ
وإلى مُنَاقَشَةٍ وَدِرَاسَةٍ مَنَاهِجِهِمْ فِي التَّفَكِيرِ وَفِي الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَإِلَى مَا يَتَشَعَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ مَطَالِبٍ مُخْتَلِفَةٍ.

على سبيلِ المِثَالِ لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَتَحَدَّثَ عَنِ الْمَنَهْجِ الْإِفْلَاطُونِيِّ، لَا أَعْتَقِدُ أَنَّ حَلَقَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ حَلَقَاتٍ
سَتَكْفِي، وَلَوْ كَانَ الْحَدِيثُ مِثْلًا عَنِ الْمَنَهْجِ الْأَوْرُسْطِي لَا أَتَصَوَّرُ أَنَّ خَمْسَ حَلَقَاتٍ سَتَكْفِينِي لِلْحَدِيثِ

وبالتالي سيتشعبُ البحثُ وبالذات المنهج الأورسطي يحتاج إلى حلقاتٍ كثيرةٍ لأنَّه من أكثر المناهج التي أثرت في الفكر البشري في العصور الماضية وحتى في عصرنا الحاضر.

وكذا حين يصلُ البحثُ مثلاً إلى نسيبةِ اينشتاين وإلى منهجه في البحث الكلام يطول ويتشعب وأنا أولاً لم أعقد البرنامج للحديث عن هذه الموضوعات، إنما أوردت ما أوردت في الحلقة الماضية على سبيل الأمثلة كي أقرب الصورة، ومع ذلك سأوضح الفكرة أكثر، سأعيد بعض الكلام وسأوضح الفكرة حتى يتحلَّى القصد من إيراد تلك الأمثلة التي مرَّ ذكرها في الحلقة الماضية.

أساساً الكلام من أين يبدأ أو من أين نبتدئ الكلام؟ في كلِّ وقت الإنسان يطلب المعرفة، الإنسان يريد أن يتعلَّم، الإنسان يريد أن يصل إلى الحقيقة بقدر ما يمكن، المنهج الديكارتي المعروف: أنا أفكر إذاً أنا موجود، الآن المنهج الفلسفي الأمريكي تبدل: أنا موجود إذاً أنا أفكر، وهو أدق من المنهج الديكارتي، أنا موجود وتلك حقيقة ثابتة بالعلم الحضوري، وجودي ثابتٌ عندي بعلمي الحضوري، فالمعلوم حاضرٌ بنفسه فلا حاجة لأن أبحث عن مُقدِّمةٍ لإدراكه، أنا أفكر إذاً أنا موجود، أنا موجود، لأنَّ هذه الحقيقة ثابتة بنفسها لنفسها وهو مصداق واضح ومرتبطة واضحة من مراتب العلم الحضوري حين يحضر المعلوم بنفسه لدى العالم، ليس صورة المعلوم تحضر، المعلوم بنفسه، أنا حاضرٌ عند نفسي ومدركٌ لنفسي بنفسي، أنا موجود ومن آثار هذه الموجودية أيُّ أفكر، أنا موجود إذاً أنا أفكر، إذاً أنا مُفكر.

الإنسان في حركته نازعٌ مُتَّجهٌ إلى المعرفة، والمعرفة ينالها بواسطة الفكر، وقُلت المراد من الفكر هو النشاط الذي يقوم به الذهن البشري، وأنا هنا لا أريد أن أُحللَ العقل والدماغ، المُخ، لا أريد الخوض في هذه التفاصيل لأنها ليست من شؤون هذا البرنامج، لكن بالشكل المُحمل المُخ هو الجانب المادي من الفكر الإنساني، والعقل هو الجانب المعنوي من الفكر الإنساني، المخ بمثابة الجسد والعقل بمثابة الروح، روح المخ هو العقل وجسد العقل هو المخ، وهُنا يتمُّ النشاط الإدراكي ما بين المُخ وما يجري في أفق كيميائية المخ وما بين العقل وما يجري في نورية العقل وصفائه وبساطته.

الإنسان يتجه إلى المعرفة، وسيلته الفكر ومرادي من الفكر بالتحديد هنا النشاط، النشاط الفكري، والمراد من النشاط الفكري هي حركة الإنسان ما بين المجاهيل والنتائج، ما بين المجاهيل والأجوبة، المنهج السقراطي، الجدل السقراطي، مرّ الكلام عنه بأنّ الإنسان إذا أراد أن يعرف عليه أن يُثير الأسئلة، المنهج الفيثاغوري وهو المنهج الرياضي يبدأ من الافتراضات ثمّ تتساقط الافتراضات، المنهج السقراطي يبدأ من إثارة التساؤلات، وبالمناسبة الافتراضات هي نوعٌ من التساؤل الخفي، حين نضع افتراضاً هو جواب، والجواب باطنٌ لسؤال، فحين نضع الافتراض على مائدة التشريح وعلى مائدة البحث هو سؤال في الحقيقة يُخفي الافتراض وراءه سؤالاً، يواجهنا المجهول، يواجهنا السؤال، يواجهنا الإشكال، يواجهنا الشيء الذي يُثير الفضول العلمي عندنا، الفضول المعرفي، حركة من المجهول إلى جهة الجواب، وجهة الجواب أين؟ الذهن البشري.

هذه الحركة باتجاه الذهن البشري، أوّل خطوة داخل الذهن البشري هو تصنّف هذا السؤال، هذا السؤال من أيّ نوع من الأسئلة؟ في داخل الذهن البشري هناك خزنة للمعلومات وهذه الخزنة مرتّبة، هناك مركز الذاكرة القصيرة وهناك مركز الذاكرة البعيدة، هناك إشارات طبقة الشعور وهناك إشارات طبقة اللاشعور، الكثير من الإشارات الذهنية، الكثير من المعلومات تلتقطها طبقة اللاشعور في الذهن البشري.

على سبيل المثال:

الإنسان حين يجلس على مائدة الطعام من دون أن يلتفت إلى طريقة جلسته، من دون أن يلتفت بأنّ أحداً يُراقبه، كيف يجلس، كيف يأكل، فحين يجلس إلى مائدة الطعام في الأعمّ الأغلب الناس لا يلتفتون إلى طريقة جلستهم، خصوصاً مثلاً إذا كانوا يجلسون في بيوتهم، ولا يوجد أحد يُراعون ويهتمون لمراقبته، فيأخذ الناس راحتهم في طريقة الأكل والشرب، هذه الطريقة من الأكل والشرب يتصرّف فيها الإنسان وفقاً لبواعث تأتي من اللاشعور، لربّما لو دقق الإنسان فيها فإنّ هذه الطريقة ربّما أخذها من أبيه أو من أمّه أو من أصدقائه أو من أستاذه أو من شخص كان يُدمنُ العلاقة معه، دائماً على اتصال وتواصل معه، فمن حيث لا يشعر تنتقل إليه هذه الطريقة في تناول الطعام، كيف يجلس، كيف يتحرك، بأيّ شيء يبدأ، بأيّ شيء ينتهي، كلّ التفاصيل الأخرى وبقية الأمور في حياتنا، الكثير منها يأتي من مركز اللاشعور، تلتقط من حيث لا يشعر الإنسان، وهناك أشياء يلتقطها الإنسان من حيث يشعر.

إذاً أول مواجهة في الذهن البشري مع هذا السؤال، الذهن البشري يُصنّف هذا السؤال، في بعض الأحيان يكون السؤال خاطئاً لكن ليس كلّ الأذهان تستطيع أن تُميّز الأسئلة الخاطئة من الأسئلة المُصيبة، لا بُدَّ أن تكون هناك إمكانية مُضافة إلى الذهن البشري نتيجة الخبرة، نتيجة المعلومات المتكدّسة في الذهن البشري، نتيجة الممارسة الفكرية والعلمية أو رُماً نتيجة النبوغ والذكاء العالي، فلا بُدَّ من تمييز السؤال والحكم بصحة السؤال أو بعدم صحته، وأين يذهب هذا السؤال، إلى مركز الذاكرة القصيرة أو إلى مركز الذاكرة الطويلة البعيدة، هل هو ينسجم مع قوانين طبقة الشعور أم ينسجم مع قوانين طبقة اللاشعور، بعد أن يُميّز ويُصنّف إلى الجهة التي ينتمي إليها تأتي هنا حركة الذهن بين المعلومات لتمييز هذه المعلومة التي يُراد أن تكون جواباً لهذا السؤال، هل هي من البديهيات التي يعرفها الجميع أو هي من النظريات التي هي بحاجة إلى تحليل وإعادة نظر، فإذا كانت من البديهيات يُصدِرُ الذهن البشري حكمه حينئذٍ، يُعطي الجواب وبسرعة، الأجوبة السريعة التي يُجيب الإنسان بها إنّها تأتي من مركز البديهيات، والأجوبة التي هي بحاجة إلى فكرٍ إنّها تأتي من مركز النظريات، والأجوبة التي تكون بعنوان لا أعلم، لم يجد الذهن البشري موضعاً لهذا السؤال، يربط هذا السؤال بأيّ مركزٍ من مراكز الفكر البشري والذهن البشري، فحركة من المجاهيل إلى الذهن البشري وحركة معقّدة داخل الذهن البشري، قد لا يستشعرُ بها الإنسان وتتماهى هذه الحركات فيما بينها حتى تكاد أن تكون حركة واحدة وما هي بحركة واحدة، هي حركة معقّدة.

هندسة وبرمجة وتنظيم الكمبيوتر هو بنفس هذه الهندسة، بنفس هذه الهندسة المخيية، الدماغية، العقلية، سمّ ما شئت، وحركة وهي الحركة النهائية حركة النتائج، يتوجّه الذهن البشري بجوابه إلى ذلك المجهول ثمّ تلتقط الصور وتُصنّف.

تقريباً هذه صورة مختصرة موجزة عن نشاط الذهن البشري الذي أشرتُ إليه وهذا النشاط بحاجة إلى أسلوب، إلى منهج، فسقراط مثلاً يُثيرُ الأسئلة وفيثاغورس يطرحُ الافتراضات، وأفلاطون يخلطُ بين ما تقدّم وبين النزوع الصوفي وبين التطهّر الروحي للولوج إلى باطن النفس كي تشرق المعلومات من داخلها، ومُرادي من التطهّر الروحي ليس التطهّر الروحي بالمعنى الديني وإنّما بالمعنى التكويني، فكلمًا شقّت الروح شفّ الجانب المعنوي للإنسان بعيداً عن الكدورات المادية التي ينغمس فيها الإنسان، كُلمًا شفّ الإحساس عند الإنسان

ابتعاداً عن الكدورات المادّية كلّما قوي الإدراك عند الإنسان، وهذه المسألة ثبتت الآن بالأدلة المختبرية، حين ينقطع الإنسان عن الطعام والشراب كيميائية البدن والتفاعل الكيميائي في البدن الإنساني يمنح الإنسان صفاءً ذهنياً عالياً، هذه القضية ثبتت في العلوم المختبرية المعاصرة، لا أريد الآن الدخول في تفاصيل هذه المطالب، أفلاطون هذا منهجه ويأتي أرسطو والمنهج الأورسطي ليضع أمامنا أسلوبه في البحث ابتداءً من بحث التعريف، لا بُدَّ من تعريفِ المطلب الذي تُريدُ أن نصل إلى معرفته وهذا التعريفُ لن يتحقّق إلا على ضوء أُسس، هذه الأُسس التي قُسمت إلى ذاتيات وعرضيات وهذه الذاتيات والعرضيات لا بُدَّ من تصنيفها، من تصنيف الأجناس والأنواع والفصول وغير ذلك، أنا لا أريد أن أُسهب كثيراً في هذه المطالب، لا أريد أن أشحن البرنامج بالمصطلحات ولا أريد أن أشحن البرنامج بالقواعد المنطقية الفلسفية، عبّر ما شئت، الأصول الحكميّة، على اختلاف الأذواق والمشارب.

خُلاصة المنهج الأورسطي ابتداءً من مراحل التصرُّور إلى مراحل التصديق والتي تنتج بعد البحث الاستنباطي والبحث الاستقرائي والبحث الاستدلالي، وفي كلّ هذه العناوين كلامٌ وكلامٌ وكلام، لكنني يُمكنني أن أُجمِل الكلام كما قُلت في حلقة يوم أمس: أرسطو يجمع قضايا صحيحة هو بحسب نظره ومن خلال المقارنة والمقايسة ومن خلال مدارس هذه القضايا الصحيحة بنظره يصل إلى نتائج صحيحة، ابتداءً من مرحلة تصوّر الأشياء وانتهاءً إلى مرحلة التصديق، مروراً بكلّ أساليب البحث وأساليب الجدل، وهكذا بقيّة المناهج، المناهج العلميّة المعاصرة أيضاً أشرت إليها وقُلت بأنّ العصر الكوبرنيكوسي نسبةً إلى الكاهن البولوني نيكولاس كوبرنيكوس الذي توفّي سنة ١٥٤٣، حيث أوجد منهجيّة جديدةً في البحث العلمي، طوّرها بعد ذلك غاليليو أو غاليلي الذي توفّي سنة ١٦٤٢، تقريباً بعده بقرن، كوبرنيكوس توفّي سنة ١٥٤٣.

ثمّ انتقل المنهج العلمي على يد إسحاق نيوتن نقلة كبيرة جداً الذي توفّي سنة ١٧٢٧ إن لم تحيّي الذاكرة، والنقلة الكبيرة كانت على يد اينشتاين الذي توفّي سنة ١٩٥٥، حين جاءنا بنظريته النسبية الخاصّة والعامّة، والجانب الفلسفي في هذه النظرية ربّما يتناغم مع ما كتبه صدر المتألّهين، صدر الدين الشيرازي في كتابه (الأسفار الأربعة)، من علماء وفلاسفة العصر الصفوي، توفّي في بدايات القرن الحادي

عشر المهجري، صدر الدين الشيرازي ذكر في كتابه الأسفار وحتى في بقية كتبه لكن الأسفار الأربعة هو كتابه المركزي حين تحدّث عن الحركة الجوهرية في المادة، وفي النسبية العامة لاينشتاين في الجانب الفلسفي منها في العلاقة بين المادة والطاقة، هناك تناغم بين ما جاء في الحركة الجوهرية عند صدر الدين الشيرازي وعند اينشتاين.

إيرادي لهذا المثال هو أنّ المناهج البحثية قد تلتقي، قد تلتقي في النتائج وقد تلتقي في الأساليب وإن اختلفت في خطوطها العامة، في أسسها، لذلك حين أتحدّث عن منهج لحن القول لا يعني أنّه يتقاطع، يتعارض مئة بالمئة مع بقية المناهج، له خصوصياته ولكن بالنتيجة هذه المناهج مرتبطة بالذهن البشري والذهن البشري قدرته، قوانينه، طبيعته حركته واحدة في كلّ الأذهان، المناهج قد تختلف ولكن الحركة والفاعلية واحدة، الذهن البشري هو هو، إن كان عند سقراط أو كان عند اينشتاين أو إن كان عندي أو عندكم الذهن واحد، المناهج تختلف، تُصيب وتُخطئ، وحتى هذه المناهج على رغم اختلافها قد تلتقي في النتائج في بعض الأحيان وقد تلتقي في القواعد والأصول وتختلف.

نحن لا نعبأ بالتقائها أو باختلافها، نحن هنا نريد منهجاً أقرب ما يكون إليهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، نحاول أن نكون في منهج أقرب ما نكون إليهم، لا أدعي أنني أتحدّث عن منهج كاملٍ مُكَمَّل، ولا أدعي بأنّي أتحدّث عن منهجٍ يوصل إلى الحقيقة بالمطلق، ولا أدعي بأنّي أتحدّث عن منهجٍ ليس فيه من ثغرات أبداً، إنّما هي محاولة للفرار من منهجٍ حطّم حديث أهل البيت، وجرّ إلى الساحة الشيعية ثقافة يرفضها إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، يرفضها خاتم الأنبياء ويأمرُ عليّاً بقتال من يتمسك بها، وقاتل سيّد الأوصياء على هذا المنهج، على منهج التأويل، بينما المنهج الموجود في ساحة الثقافة الشيعية هو منهج التنزيل الذي رفضه سيّد الأوصياء، ما هو بالمنهج العلوي، منهج التنزيل كان في زمن النبي وألغى هذا المنهج بيعة الغدير، ولكنّ السقيفة بقيت على نفس ذلك المنهج، ومن هنا حدث الافتراق، ومن هنا حدث الاختلاف، ومن هنا افترت الأمة إلى فرق ضالة وفرقة ناجية اتبعت عليّاً فاتبعت منهج التأويل، فإنّي أقول ما لكم يا أتباع عليّ، تُحبون عليّاً، توالون عليّاً، تتمسكون بولايته، لكنكم تَسْرَحُونَ وتمرحون في وادٍ آخر! ما لكم تعودون القهقرا، إلى مرحلة التنزيل!!

هذا هو الذي أقوله، محاولة للبحث عن منهج يقي ساجاً، يبقى متواصلاً مع مرحلة التأويل، جئت بهذه النماذج من الفكر البشري لأجل توضيح المطلب، ومناهج الفكر البشري ليست واقفة عند حدٍّ مُعَيَّن، حين جاء اينشتاين بنسبته وأذهل عقول العلماء وكان أباً للفيزياء الحديثة، لكن لا يعني أنه قد جاء بالحقيقة المطلقة، جاء بأعجوبة من أعاجيب الفكر البشري، نسبة اينشتاين أعجوبة من أعاجيب الفكر البشري لكنها ليست في أفق الحقيقة المطلقة، ميكانيكا الكم والتعاض فيما بين ميكانيكا الكم وما جاءت به الكوانتك فيزيك بعد ذلك كانت هناك هوة فاصلة حتى جاءت محاولة في نظرية الأوتار الفائقة، نظرية الأوتار الفائقة سبقتها نظرية الأوتار البوزونية، ثم جاءت نظرية الأوتار الفائقة، التناظر، سوبر سترنج ثيري، التي حاولت أن تسدَّ الهوة فيما بين النظرية النسبية وميكانيكا الكم.

وهل يقف الكلام عند هذا الحد؟ أبدأ القضية متواصلة، فحينما يأتي آتٍ ويقول بأن منهج البحث هو هذا لحن القول، لماذا يُقال بأن العلماء كلُّهم ما التفتوا إلى ذلك، العلماء أيضاً ما التفتوا إلى النظرية النسبية، اينشتاين ما التفت إلى قضية الأوتار الفائقة، الذين قبل نيوتن لماذا لم يلتفتوا إلى الذي جاء به نيوتن؟ نيوتن نفسه لماذا لم يلتفت إلى الذي جاء به اينشتاين؟

هي هذه حالة الفكر البشري، الفكر البشري في تطوّر، هذه طبيعة الإنسان، هذه طبيعة العلم، هذه طبيعة المعارف، قد تكون المعطيات هي المعطيات، موجودة بين يدي جيلٍ من العلماء لكنهم اتبعوا منهجاً مُعيّناً، هذا المنهج المعين يجعلهم لا ينظرون إلى الجهات الأخرى، هذا هو السبب.

حينما جاء نيوتن وأحدث إنقلاباً كبيراً في عالم الفيزياء، ولا بُدَّ أن نعرف بأن الانقلابات التي تحدث في عالم الفيزياء تترك آثارها الكبيرة جداً على بقية العلوم، بخلاف بقية العلوم، الانقلابات الحادثة في بقية العلوم لا تترك أثراً كبيراً كالانقلابات الحادثة في الفيزياء.

إلى أن تسيّد علم الإلكترونيك، الآن علم الإلكترونيك هو سيّد العلوم، لأنَّ كلَّ العلوم تحتاج إليه ومن دونه تبقى عرجاء، الآن إذا عزلنا الإلكترونيك عن الفيزياء، عن الطب، عن الكيمياء، عن هندسة الفضاء، ستبقى هذه العلوم عرجاء، بل ستحوّل إلى علوم عمياء، من دون الإلكترونيك، من دون الأجهزة التي

يستعينُ بها الفيزيائي والتي اخترعها عالم الإلكترونيك، مهندس الإلكترونيك هو الذي اخترع الجهاز الذي يستعمله الفيزيائي والكيميائي إلى سائر أصناف العلوم الأخرى، حتى في العلوم الإنسانية، هذا شيءٌ طبيعي، هذا هو تأريخُ البشر.

وقد تحدّثتُ عن التنزيل وكيف أنّ العرب كانوا لا يملكون من الثقافة إلا الألفاظ، اللغة، وخرافات، وشيءٌ وصل إليهم وهو نزرٌ يسير من الأمم الأخرى لأنهم كانوا يهيمنون في الصحراء، همُّهم أن يجدوا شيئاً يأكلونه ويشربونه وأن يجدوا شيئاً لحيواناتهم، هم في صحراء قاحلة، النتيجة التي وصلوا إليها أن يغزو بعضهم بعضاً، استحلّوا دماء بعضهم بعضاً، هذه هي معيشتهم، هكذا كانوا يعيشون، خطبة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها تُفصّل القول في ذلك، لا مجال لإيرادها.

نذهب إلى فاصل مع عمّار الكناني وهو يُنشدنا عن رقية الحسين.

خُلاصة ما تقدّم:

أولاً: الإنسان بطبيعته بفطرته يريد أن يعرف.

ثانياً: وسيلة الإنسان في المعرفة الفكر.

ثالثاً: يُحصّل الإنسان المعرفة عن طريق الفكر حينما يتفعل النشاط الفكري، مواجهة الجهول، حركة مُعقّدة داخل الذهن، والخروج بالجواب الإيجابي أو السلبي.

رابعاً: هذا النشاط لا بُدَّ له من طريقة، لا بُدَّ له من منهج، ومنهج الفكر البشري متعدّد، تأريخُ الفكر البشري يُعدّد لنا ألواناً من هذه المناهج ومرّت الإشارة إلى أمثلة منها في الحلقة الماضية وهذه الحلقة.

خامساً: هذه المناهج تُصيبُ وتُخطئ، قد تلتقي فيما بينها في النتائج وقد تختلف، قد تلتقي فيما بينها في بعض القواعد والأصول وقد تختلف.

سادساً: هذه المناهج في حال تطوّر، فلربّما كان هناك منهج من المناهج مشى عليه كثيرٌ من النَّاس، أممٌ وحضارات ولم يلتفتوا إلى الجوانب الكثيرة التي أغفلها ذلك المنهج ومن هنا في كلّ عصرٍ يخرج عالمٌ مُفكّر يأتي بشيءٍ جديد، ما هو بشيءٍ جديد، هو شيءٌ موجود لكنّ المناهج المتقدّمة ما التفتت إليه، الحقائق التي وصل إليها اينشتاين هل هو اخترعها أم هي حقائق موجودة في الكون؟

القوانين التي وصل إليها التي تحدّثت عن العلاقة بين المادّة والطاقة، هذه القوانين وهذه العلاقات اينشتاين أوجدها؟ هو الذي صنعها أم هي موجودة؟ موجودة قبل أبينا آدم، لماذا وصل إليها اينشتاين؟ سلّك منهجاً جديداً، والذين جاءوا من بعد اينشتاين، وهكذا والقضية لا تقف عند حدٍّ والمسألة هكذا والأمر نفسه، نفسه في المعارف الإنسانية، المعارف الدينية وغير الدينية.

قد يُقال بأنّ المعارف الدينية هي في نصوص وهذه النصوص مشخّصة، نعم النصوص مشخّصة ولكن الذين يتعاملون مع هذه النصوص كيف يتعاملون معها؟ حينما يأتي منهج من المناهج فيرفض الكثير من هذه النصوص، ثمّ يأتي إلى النصوص التي قبل بها ويتعامل معها بمنهج لا يستخرج من مضامينها إلاّ الشيء اليسير، ويأتي منهج آخر فيقبل هذه النصوص، يقبل الأكثر، يقبل الجميع، ويتعامل بمنهجية تستخرج من هذه النصوص الكثير من المعارف، كيف لا تختلف حينئذٍ النتائج!!

ستختلف قطعاً، العالم المختبري عنده معطيات، والعالم الإنساني في العلوم الإنسانية الدينية أو الدنيوية عنده معطيات، ما هي منهجيته في البحث في تلك المعطيات؟ أيّ المعطيات يتعامل معها على أساس أنّها قواعد، على أساس أنّها نهايات حقيقية، أم أنّها يَضَعُها في حدّ الاحتمال، حينما تُوضع في حدّ الاحتمال لا تدخل هذه المعطيات بشكلٍ فاعل في البحث، لكن حينما تُوضع بنحوٍ قطعي، في الدرجة القطعية فحينما تدخل في البحث ستؤثّر كثيراً على النتائج، وهذه القضية هي هي في المختبر أو في الملاحظة والمشاهدة عبر التلسكوب للفضاء أو بالعين المجردة بالنسبة للحقائق الموجودة على الأرض، بالرصد العلمي، وبالمحاسبة الرياضي، أو بالبحث التفسيري أو اللغوي أو النقدي، القضية هي هي، فكرٌ بشري، حركةٌ داخل الفكر البشري، وأساليب ومناهج للبحث والإنسان هو الإنسان، بنقصه، بقصوره، بتقصيره، بتأثيره بالمناهج السابقة

والأعراف والتقاليد، وهذه القضية تنعكس حتى في العلوم المختبرية، تكون هناك أعراف وتقاليد في الجامعات، حينما يأتي عالمٌ يطرح طرحاً جديداً في البداية لا تقبله الجامعات والجامع العلمية ولكن حين تمرُّ الأيام يُقبل هذا البحث.

مساحة الحرّية واحترام الآراء في الجوّ الأكاديمي لا يُوجد له مُشابه في المؤسسة العلميّة الدينية، فكلُّ ما يُخالف المطروح والموروث يكون ضلّالاً وانحرافاً، وهذه القضية مشغلة على طول الخط، مع أنّ الموروث يُنسبُ إلى أهل البيت كذباً وزوراً، لا علاقة لأهل البيت به، لأنّ المنهج الذي اتّبِع هو منهج الشافعي، استنسخه لنا شيخنا الطوسي رضوان الله تعالى عليه، قبل الشّيخ الطوسي لم يكن هناك من منهج واضح، لو أردنا أن نلقي نظرةً على علمائنا قبل الشّيخ الطوسي لوجدنا كلّ عالمٍ يتبع طريقةً، فابن الجنيد وإن كرّع في الفكر المخالف والعُماني كذلك أخذوا من المخالفين، ولكن ابن الجنيد في منهجيّته يختلف عن العُماني، واللّذين كانوا في تلكم الفترة إذا نظرنا إلى الطبقات التي سبقتهم، إذا ذهبنا إلى ابن قولويه، إلى الصدوق، إلى النعماني، إلى الكليني، سأقف عند الكليني بعض الشيء، لا أدري هل أجد مُتسعاً من الوقت أو لا أجد مُتسعاً من الوقت في هذه الحلقة، لكنني سأقفُ وقفَةً موجزةً مع الكليني رضوان الله تعالى عليه.

كما قلت قبل قليل العرب ثقافتهم بدويّة، منهجهم الفكري بدوي، وبقي هذا المنهج على طول فترة التنزيل، النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ألقى هذا المنهج لكنّ السقيفة بقيت على هذا المنهج، وبدأ منهج التأويل والأُمَّة عرضت، حتّى الشّيعَةُ عرضوا عن منهج التأويل، لا أتحدّث عن الشّيعَةِ المخلصين لأمر المؤمنين وعن الشّيعَةِ المخلصين للأئمّة، لو لم يكونوا قد تمسكوا بمنهج التأويل لَمَا وصلت إلينا أحاديثُهم ومعارفهم صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين.

الموضوع واسعٌ ولا أدري حقيقةً من أين أبدأ وماذا أترك وعن أيّ شيءٍ أتحدّث، القضية كبيرة، لكنّ المخالفين لأهل البيت بقوا على هذا المنهج، على هذا المنهج السطحي، المنهج البدوي، نُقول، وهذه النُقول المنقولات تُفهم في الأفق البدوي، يُمكن أن أختصر الكلام في المنهج العُمري، المنهج العُمري ماذا قال؟ حَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ، بعيداً عن جهة التأويل ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ عُمر أراد

الكتاب من دون الجهة المؤولة، حسبنا كتاب الله، كيف يفهم؟ يفهم بالفهم البدوي الساذج، بحيث حين سئل عن معنى الأب وهو علف الحيوانات، نحن إذا رجعنا إلى الكتاب الكريم إلى الجزء الثلاثين وإلى سورة عبس وتولى ﴿وفاكهةً وأباً﴾ فحين سألوا عمر عن الأب، مع أن القرآن واضح لو نستمر في القراءة ﴿وفاكهةً وأباً﴾ متاعاً لكم ولأنعامكم الآية التي بعدها الفاكهة متاع لنا والأب متاع لأنعامنا ﴿وفاكهةً وأباً﴾ متاعاً لكم ولأنعامكم ما عرف المعنى!! ثم ماذا قال؟ لقد هيينا عن التكلف، اعتبر معرفة الأب من التكلف، التكلف يعني التعق، بالله عليكم إذا كان معرفة كلمة وهي كلمة يعرفها العرب، علف، مادة العلف مثل مادة البترول الآن، ألا يعرف الناس مادة البترول التي هي مادة تستعمل طاقة ووقود لسياراتهم؟ العلف كان مادة ووقود لحيواناتهم، والحيوانات كانت موجودة في كل مكان ويعرف العرب شؤوناتها، والآية واضحة ﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ هو ما عرفها وعد ذلك من التكلف، وسار المنهج هكذا.

إذا رجعنا ودرسنا المنهج المخالف من يوم السقيفة إلى زمان الشافعي تقريباً، كان المنهج الشائع هو هذا المنهج البدوي، نُقول حكايات، نقل مع فهم بالأسلوب البدوي، الشافعي هو الذي أحدث نقلة، الشافعي توفي سنة ٢٠٤ للهجرة، أحدث نقلة ونظر ووضع قواعد للتنظير وألف، الشافعي جمع هذه النقول بالفهم البدوي ووضعها في المنهج الأورسطي، فعل المنهج الأورسطي، فهو يجمع النقول والحكايات وتفهم بالفهم البدوي وبعد ذلك يستخرج منها النتائج وفقاً للمنهج الأورسطي، الشافعي جمع بين المنهج الأورسطي وبين المنهج الذي كان شائعاً وهو المنهج الذي كان عليه العرب قبل الإسلام وبقي موجوداً طيلة فترة التنزيل، بحيث القرآن في سورة المائدة، في الآية السابعة والستين، ماذا خاطب نبينا صلى الله عليه وآله وسلم؟

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ لأن الرسالة في مستوى التنزيل، ليست هي التي يريد الله، المعنى واضح ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم

تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتَهُ ﴿﴾ لأنَّ الرسالة في مرحلة التنزيل فُهَمَّت وفقاً للمنهج البدوي، وهذه الرسالة يُراد لها أن تُفهم وفقاً للمنهج التأويلي ﴿﴾ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴿﴾ .

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ليس من المنطقي أن يقوم أولاً بعملية إقناع العرب بتغيير المنهج الفكري، القضية في غاية الصعوبة، حتى بعد أن يُغيروا المنهج الفكري يُغيروا دينهم، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسَلَّمَ تعامل مع قوم ثقافتهم ثقافة بدويّة، منهجهم منهج بدوي، المنهج البدوي يعني منهجاً سطحياً، يعني منهجاً ساذجاً، يعني منهجاً في غاية البعد عن التحليل، في غاية البعد عن العمق، كما قال عمر: مُهينا عن التكلف، من الذي نهاه عن التكلف والقرآن يُطالب بالتفكير!! هل التفكير تكلف؟

من الذي نهى عمر والذين معه نهاهم عن التكلف؟ القرآن يأمر بالتدبر، تدبر، تفكر، اعتبار، القرآن مشحون من أوله إلى آخره، الاعتبار والتفكير والتدبر، ما هو أبعد من التكلف، التكلف يكون شيئاً قليلاً، هذه رسالة القرآن، والقرآن يُخاطب النبي الأعظم ﴿﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴿﴾ ما تلك هي الرسالة المطلوبة بالفهم في مرحلة التنزيل، الرسالة المطلوبة بالفهم في

مرحلة التأويل ﴿﴾ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴿﴾ وَسَتَقَاتِلُهُمْ يَا عَلِيُّ عَلَى التَّأْوِيلِ كَمَا قَاتَلْتُهُمْ عَلَى التَّنزِيلِ، التنزيل كانت مرحلة تمهيدية ليست هي المطلوبة، ومن هنا يا شيعة أهل البيت، ومن هنا لا تجدون في كتبنا أحاديث النبي، هذا الإشكال الذي يُشكله المخالفون علينا بأنكم لا تروون أحاديث النبي، لا نروي أحاديث النبي لأنَّ أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في الأعم الأغلب هي في المرحلة التنزيلية، وما نقله لنا الأئمة من أحاديث النبي إمّا هي من أحاديث المرحلة التنزيلية التي لا تتعارض مع مرحلة التأويل وإمّا هي من الممهّدات لمرحلة التأويل، الأحاديث التي تحدّث بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تمهيداً لمرحلة التأويل، لذا أحاديث النبي في كتبنا قليلة لأنَّ النبي كان يُحدّث الناس في مرحلة التنزيل والقرآن يقول له ﴿﴾ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴿﴾ بعد هذا نزلت الآية (أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)، رضي الإسلام حينما وُضِعَت القواعد لفهمه بالفهم التأويلي في مرحلة التأويل، المشكلة أنّ التأويل

هكذا تعلم الشيعة من خطبائهم وعلمائهم أن المراد من التأويل هو شيء ثانٍ غير الأصل، بينما كلمة التأويل تعني الرجوع إلى الأوّل، وتأويل يعني رجوع الشيء إلى أوّله، إلى أصله، إلى حقيقته، هذا في اللغة، حتّى في اللغة، كلمة تأويل في اللغة يعني الرجوع إلى أوّل الشيء، إلى أصله، وما يعلم تأويله يعني وما يعلم حقيقته وأصله وتفسيره، لكن الشائع في الثقافة الشيعية أن المراد من التأويل معنى ثانوي بجانب المعنى الحقيقي، والقرآن يُصرّح ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ القرآن هنا حين يتحدّث وما يعلم تأويله هل يقصد المعنى الثانوي أو يقصد المعنى الحقيقي، المعنى الأوّل الأساسي، المعنى الأوّل الأساسي هذا هو منهج عليّ، هذا هو منهج العترة، المنهج الموجود في حوزاتنا العلميّة يتعارض مئة بالمئة مع هذا المنهج، مع المنهج التأويلي، وأدّل دليل على ذلك رفض علمائنا ومراجعنا ومفسرينا للأحاديث التفسيرية للقرآن، أدل دليل على ذلك، ارجعوا إلى تفاسير علماء الشيعة، إلى تفاسير كتبها مراجع التقليد عند الشيعة كبار علماء الشيعة، ارجعوا إلى تفاسيرهم الذين تقلّدوهم، من الذين تقلّدوهم من الأموات والأحياء، ارجعوا إلى تفاسيرهم ستجدون هذه التفاسير في تناقض تامّ مع ما جاء عن أهل البيت من الأحاديث التفسيرية، تناقض تامّ مئة بالمئة، بل في حالة تناقض ومعارضة وفي كثير من الأحيان في حالة رفض لما جاء في الأحاديث التفسيرية أو في حالة إهمال، هذا أدل دليل والقضية واسعة جداً، قضية كبيرة جداً.

ما هو المنهج المُتَّبَع؟

هو نفس المنهج الذي اتّبعه الشافعي، نحن إذا أردنا أن نرجع إلى زمان الأئمة، في زمان الأئمة الإمام موجود وهناك من صحابته من يعرف الحقيقة، فهناك جهة ضامنة، جهة آمنة، ولما وصلنا إلى عصر الغيبة، أخذ مثلاً، الكليني رضوان الله تعالى عليه جمع الكافي في عقيدتي هناك يدّ غيبية كانت وراء الكليني في جمع أحاديث الكافي، في طريقة تبويبه، لأنني حين أعود إلى كتاب الكافي فأجد ما جمعه الكليني كافياً ووافياً وشافياً وأجد الطريقة التي بُوت بها الأحاديث في غاية الدقة والنباهة والروعة، لكن حين أنظر إلى بعض كلمات الكليني رضوان الله تعالى عليه أجد ضعفاً في كلامه، على سبيل المثال في المقدمة، في مُقدّمة الكافي، هذا هو الجزء الأوّل من كتاب الكافي، ماذا يقول؟

يا أخي - يُحاطب الذي كتب له هذا الكتاب - يا أخي أرشدك الله إنه لا يسع أحداً تمييزُ شيءٍ ممَّا
 اختلفَ الروايةُ فيه عن العلماء عليهم السَّلام - يقصد الأئمة - عن العلماء عليهم السَّلام برأيه إلا
 على ما أطلقه العالم بقوله عليه السلام اعرضوها على كتابِ الله فما وافقَ كتابَ الله عزَّ وجلَّ فخذوه
 وما خالفَ كتابَ الله فردُّوه وقوله دعوا ما وافقَ القوم - يعني المخالفين - فإنَّ الرُّشدَ في خلافهم،
 وقوله خذوا بالمُجمَعِ عليه فإنَّ المُجمَعِ عليه لا ريبَ فيه - المُجمَعِ عليه بين أصحابِ الأئمة،
 والمُجمَعِ عليه بين أصحابِ الأئمة لا بُدَّ أن يكونَ مُجمَعاً عليه بين الأئمة صلواتُ الله عليهم وذلك نعرفه من
 طريق الأحاديث التي وردت عنهم جميعاً.

بعد أن يذكر هذا الشيخُ الكليني ماذا يقول؟ ونحن لا نعرفُ من جميع ذلك إلا أقله - ماذا يُشعرنا؟
 يُشعرنا بأنَّ الشيخ الكليني لم يكن لديه من منهج واضح، منهجه هو منهج القدماء وهو التسليم، قبول
 الأحاديث التي وردت عنهم صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين وفهم هذه الأحاديث بالإجمال، وإلا كيف
 إذا الأئمة يُعطوننا هذه القوانين كما هو ذكر بأن نعرض أحاديثهم على كتابِ الله، بأن نعرض أحاديثهم
 على أساس ما عند المخالفين وإنَّ الرُّشدَ في خلافهم، بأن نأخذ بالمُجمَعِ عليه بالذي اتفقت عليه كلمة
 أئمتنا صلواتُ الله عليهم ثم نقله إلينا رواة حديثهم، حينما يضع لنا الأئمة هذه القواعد، فهل من المعقول أن
 هذه القواعد لا تكون ناجحةً وناجعةً في جميع الأحوال أو على الأقل في أغلب الأحوال؟ بينما الشيخُ
 الكليني ماذا يقول؟ ونحن لا نعرفُ من جميع ذلك إلا أقله - ماذا يريد أن يقول؟ يريد أن يقول بأن هذه
 القواعد حين نطبِّقها فإنها تكون ناجحةً في أقل الأحوال، هذا الكلام إلى أيِّ شيءٍ يُشير؟ يُشير إلى أن
 الشيخ الكليني لم يكن عنده منهج واضح وإنما منهجه هو القبول والتسليم - ونحن لا نعرفُ من جميع
 ذلك إلا أقله ولا نجد شيئاً أحوط ولا أوسع من ردِّ علم ذلك كله إلى العالم عليه السَّلام وقبول ما
 وسَّع من الأمر فيه بقوله بأيِّما أخذتم من باب التسليم وسعكم - هذا هو منهج الكليني، منهجه
 الشخصي وهو التسليم، يعني هو لا يملك منهجاً علمياً واضحاً مُشخصاً، هذا الكلام واضح، هذه مُقدِّمة
 الكافي الشريف.

وإذا ذهبنا في باب التوحيد حينما يذكر خطبةً هي من أمهات الخطب في التوحيد عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ثم يُعلق بعد أن يُشير إلى أهمية هذه الخطبة فيقول: **فَلَوْ اجْتَمَعَ أَلْسِنَةُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَيْسَ فِيهَا لِسَانُ نَبِيِّ عَلَى أَنْ يُبَيِّنُوا التَّوْحِيدَ بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ بِأَبِي وَأُمِّي مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ -** ما قيمة الجن والإنس؟! يعني هل هذه منقبة لعلي صلوات الله عليه!! يعني بعد أن يذكر هذه الخطبة المميّزة يقول لو اجتمع الجن والإنس باستثناء الأنبياء، ما قيمة الجن والإنس أساساً؟ ما هو وجه المقايسة؟! كلام ضعيف واضح! - **فَلَوْ اجْتَمَعَ أَلْسِنَةُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَيْسَ فِيهَا لِسَانُ نَبِيِّ -** لو أنّ رجوعاً إلى الأحاديث الشريفة التي هو ذكرها في كتاب الكافي وفي الكتب الأخرى، في الأصول الأخرى، في أحاديث أهل البيت إن حديثهم إن أمرهم لا يَحْتَمِلُهُ لا نبيُّ مُرْسَلٍ ولا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا عَبْدٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، أين وجه المقايسة هنا؟!!

وإذا ذهبنا أيضاً في باب مولد النبي، في المقدمة قبل أن يذكر الروايات شيخنا الكليني رحمه الله عليه كتب سطوراً، هذه السطور التي كتبها أخذ المعلومات مع أنّها سطور قليلة جداً كتب المعلومات فيها متأثراً بالفكر المخالف، هنا حين يتحدث عن مولد النبي يقول: **وُلِدَ النَّبِيُّ لِإِثْنَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ -** النبي لم يُولد في هذا التاريخ بحسب أحاديث أهل البيت، لو ذكر الروايات عن أهل البيت لكان التاريخ شيئاً آخر، لكنّه من حيث لا يشعر، الثقافة المخالفة منتشرة، فأرّخ ولادة النبي بالتاريخ الذي عليه المخالفون لأهل البيت - **وُلِدَ النَّبِيُّ لِإِثْنَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ -** وحتى في تاريخ شهادته - **ثُمَّ قُبِضَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِإِثْنَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ -** النبي شهادته في نهاية شهر صفر، هذا الموجود في رواياتنا، هذا الكلام يقوله المخالفون لأهل البيت!

وحتى حين تحدّث عن بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلّم عدّ رباته من بناته وهذا أيضاً قول المخالفين، لا أريد الخوض في هذه القضية.

المثال الذي أوردته هو أريد أن أقول بأنّ العلم في تطوّر، بأنّ العلم في تغير، هذي أمثلة من سطور كتبها الشيخ الكليني حين خرج عن حديث أهل البيت.

نذهب إلى فاصل باسم الكربلائي وهو يُنشدنا عن فاطمة بنت الحسين التي بقيت في المدينة بسبب مرضها وعلتها..

لاحظتم ماذا جاء مذكوراً في كتاب الكافي الجزء الأول، أخذت أمثلةً من كلام شيخنا الكليني رضوان الله تعالى عليه، كلام الكليني شيء وما جمعه وما نظمه وما صنّفه في كتاب الكافي شيء آخر، جمع لنا حديث أهل البيت بطريقة لم يُوفق بعده أحد، جمع الحديث بنفس الطريقة، بنفس التبويب بنفس الاختيار، كتاب الكافي ليس كبيراً جداً، هو صحيح قد يكون كبيراً نسبياً بالقياس إلى الكتب الصغيرة، لكنّه ليس كبيراً جداً، ثمانية مجلدات، ما هو كبير جداً، لكنّ هذا الكتاب وضع فيه الشّيخ الكليني أمّهات أحاديث أهل البيت، وضع فيه العيون، عيون الأحاديث، يمكن أن تكون بقيّة الأحاديث في الجامع الحديثية الأخرى بمثابة تفاريع، شروح، توضيحات، بيانات لأهمّ الأصول، لأهمّ الثوابت التي جمعها شيخنا الكليني رحمه الله عليه في كتاب الكافي الشريف.

دائماً أقول إذا كان هناك من معجزة في كتبنا الشيعية، في كتب الحديث الشيعي، الكافي هو معجزة الكليني ما بين المُحدّثين رضوان الله تعالى عليه ولكن أنتم شاهدتم حين يخرج عن سطور الأحاديث رأيتم المستوى الذي يتكلّم به، ومن المقدّمة واضح أنّ الشّيخ الكليني لم يكن عنده منهج واضح، وإمّا منهجه هو المنهج التسليمي للأحاديث وهو منهج الكثيرين من علماء الحديث، المنهج التسليمي، لكن إذا أردنا أن ننظر بدقّة إلى أحاديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أهل البيت يريدون منا أن نعرف لحن قولهم، أن نعرف معارضض كلامهم، أن نعرف ظواهر حديثهم وبواطن حديثهم، أن نعرف الحدود والمطالع والمجاري في كتاب الله وفي حديث العترة الطاهرة، هذا هو الذي يريده منا أئمتنا، وذلك لا ينسجم مع المقالة التي قالها شيخنا الكليني في مقدّمة الكافي من أننا لا نعرف من ذلك إلا الأقل.

لا أريد الخوض كثيراً في هذه القضية لكنني فقط أريد أن أقول بأنّ البحث والعلم والتفكير والتدبر ليس له من حدود، حالة التطور في البحث العلمي الديني كحالة التطور في البحث العلمي المختبري، أوردت هذا المثال لأجل أن ألفت نظركم إلى هذه الحقيقة.

أعتقد بعد هذه البيانات اتضح المقصود، المقصود هو هنا، المقصود في هذه الكلمات القصيرة، المقصود أن الإنسان إذا أراد أن يصل إلى النتائج العلمية الصحيحة لا بُدَّ أن يكون عنده منهج، منهجٌ بحثي، منهجٌ علمي، منهجٌ فكري، سمَّ ما شئت، هذا المنهج الشيء الطبيعي ينشأ من خلال التجربة العلمية والفكرية البشرية، عموماً هناك تجربة بشرية عامة الجميع يشتركون فيها، وهناك تجربة بشرية خاصة لكل باحث، لكل مفكّر، وهذه التجربة إنما تنشأ نتيجة التعامل مع المعطيات المرتبطة بذلك البحث، بذلك العلم، يعني المتخصّص مثلاً في علم النبات أين يبحث؟ هل يبحث في كتب التأريخ؟! المتخصّص في علم النبات يبحث في ما يُسمّى بعالم النبات والموجود على أرض الواقع، النبات الموجود على أرض الواقع، نبات يوجد داخل المياه، نبات يوجد فوق المياه، نبات يوجد في التربة، في الصحاري، في الجبال، في الغابات، في المناطق الثلجية، دراسة هذه النباتات واعتماداً على دراسات وبحوث سابقة يختلط فيها الخطأ بالصواب، والدراسات السابقة أيضاً اعتمدت على منهجية معينة، قد يكون هذا الباحث الآن المعاصر لا يقبل تلك المنهجية ويضع لنفسه منهجية جديدة، هذه المنهجية كما قلت تنشأ من خلال تجربة بشرية عامة ومن خلال تجربة بشرية خاصة، من خلال تجربة الباحث ومن خلال تجربة الذين سبقوه ومن خلال طبيعة الموضوع الذي يُبحث، دراسة النبات غير دراسة البحر، ودراسة البحر غير دراسة التربة، ودراسة التربة من وجهة علماء الزراعة غير دراسة التربة من وجهة علماء المعادن، غير دراسة التربة من وجهة علماء الجيولوجيا، التربة هي التربة، الأرض هي الأرض، ولكن عالم الجيولوجيا يختلف عن عالم الزراعات وعالم الزراعات يختلف عن عالم المعادن والخامات.

لا بُدَّ من منهج وهذا المنهج ينشأ من داخل المعطيات التي يدور البحث حولها، نحنُ بصدد الحديث عن الوصول إلى نتائج في الجانب العقائدي، في الجانب الفقهي، في الجانب الفكري، في الجانب التاريخي المرتبط بعقائدنا، لا بُدَّ أن يكون المنهج منسجماً مع هذه المعطيات، هناك منهجٌ بين أيدينا، حين نبحث عن أصوله مردهً أساساً إلى المنهج الأورسطي، والمنهج البدوي، وهذان المنهجان جمعهما الشافعي، أنا أوردت كلام الكليبي لأبين بأن الكليبي لم يكن عنده منهج، منهجه التسليم، وهذا الموضوع بحاجة إلى بحث، باعتبار أن الكليبي كان في زمن التشريع، توفّي قبل وفاة السفير الرابع، الكليبي توفّي قبل وفاة السفير الرابع بسنة، على ما

هو المعروف، الآن حين مثلاً يُفتح كتاب الكليني وحين نبحت مثلاً عن تأريخ وفاته، توفي سنة ٣٢٨، على ما هو معروف، بينما علي بن محمد السمري توفي سنة ٣٢٩ للهجرة، أنا هنا لا أريد أن أناقش كل شيء، لكن الكليني واضح من كلامه لم يكن عنده منهج، منهجه التسليم، الذين جاءوا من بعده كذلك، الشيخ الصدوق نفس الشيء، والد الشيخ الصدوق نفس الشيء، ابن أبي زينب النعماني، ربما يبدو أنه يسلك منهجية تختلف نوعاً ما عن منهجية الكليني رضوان الله تعالى عليه والسبب الخبرة التي اكتسبها من الكليني، كان شريكاً للكليني في تأليف الكافي كما يقول أهل الحديث.

وهكذا إلى زمان شيخنا الطوسي، في زمن الشيخ الطوسي صار هناك منهج، ليس جزافاً حين يُقال عن الشيخ الطوسي بأنه شيخ الطائفة، وليس جزافاً بأنه أكثر من مئة سنة لم يخرج أحد يُناقش الشيخ الطوسي في قضية صغيرة أو كبيرة، لأنه جاء بمنهج جديد وصار هذا المنهج منهجاً مقدساً، ولا زال علماء الشيعة إلى اليوم يلتزمون بهذا المنهج، الحوزة في النجف إلى يومها هذا دروسها في مسجد الطوسي ومنهجها منهج الطوسي، ومسجد الطوسي هو بيت الطوسي، حينما جاء الشيخ الطوسي من بغداد إلى النجف فبنى بيته قريباً من الحضرة الشريفة، مجاوراً للحضرة الشريفة، وحينما قاربت المنية أوصى أن يُحوّل هذا البيت إلى مسجد وأن يُدفن فيه، ودفن الشيخ الطوسي في بيته وحوّل بيته إلى مسجد هو مسجد الطوسي المعروف الآن في النجف الأشرف، فمثلما بقي بيت الطوسي محلاً للدرس كما كان وكما أسس، بقي منهج الطوسي منهجاً للدرس وللبحث وللعلم وللتحقيق إلى يومنا هذا.

الكلام كثير وتزدحم الأفكار في ذهني، لكثرة ازدحامها لا أدري حقيقة ما هو الذي سأعرض عنه وأتركه وما هو الذي سأطرحه بين أيديكم، البرنامج ليس برنامجاً لمناقشة كل هذه الدقائق وهذه الصغائر، البرنامج كما بينت سلفاً هو عمل تطبيقي، أحاول أن أضع بين أيديكم مثلاً، نموذجاً، لتطبيق عملي لمنهج لحن القول في دراسة ثورة المختار وشخصية المختار، وتعبيري هنا في غاية الدقة: ثورة المختار وشخصية المختار.

صحيح ثورة المختار تعكس شخصية المختار، وصحيح أن شخصية المختار تظهر واضحة في ثورته، ولكن ثورة المختار شيء وشخصية المختار شيء آخر، هذه المعاني ستتضح إن شاء الله تعالى في طوايا الحلقات

القادمة وستكشف الكثير من المطالب، هناك الكثير الكثير من المطالب ومن الحقائق ومن المضامين المهمة جداً.

لذا أقول لأبنائي وبناتي ممن يُتابعون هذا البرنامج، تابعوا هذا البرنامج، المضامين والحقائق التي سأعرضها بين أيديكم في غاية الأهمية، إن كان في بعدها العلمي، العقائدي، الفكري، الديني، أو كان في بعدها الثقافي، معلومات تُضاف إلى ثقافتكم تسمعون بها أول مرة.

تقريباً وصلنا إلى الدقائق الأخيرة من هذه الحلقة، نذهب إلى الفاصل الأخير نزور سيّد الشهداء مع خدّمة الحسين.

ألقاكم غداً إن شاء الله تعالى على مودّة قلب الحسين، لباب الحسين، الحجّة بن الحسن العسكري إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه.

سَلَامٌ عَلَى نَحْرِكَ الدَّائِمِي يَا حُسَيْنٍ...

في أمان الله..

* برنامج "الثائر الحسيني الوفي المختار الثقفي" متوفّر بالفيديو والأوديو على موقع زهرايون

www.zahraun.com